

مُلح
٢٢

سأل معلم تلميذا لماذا يمشي السرطان الى الوراء فاجابه لانه لا يرى حاجة
لان يدير ظهره ما دام في نيته العودة الى حيث كان

* *

سأل رجل خادماً امرأة عن الخادمة فاجابه انها في الغرفة العليا تصلح
شعر السيدة فقال له وهل السيدة معها ...

* *

وصايا طبية — لا تشرب لثلاً تعطش ثانية

لا تقرأ لثلاً يتعب نظرك

لا تذهب الى المحاكم وفضل عليها البيمارستان

لا تذكر شيئاً ولا سيما ديونك

لا تشتغل لثلاً تتعب

لا تلبس لثلاً يتضايق جسمك

لا تفكر حين تتكلم لثلاً تجهد نفسك بعملين في وقت واحد

لا تضع صبرك لانك لا تجد احداً يلاقه ويرده اليك

لا تحزن اذا افلست وافرح لان الافلاس لم يكن اشد

لا تزوج صغيرة ولا تزوج كبيرة او لا تزوج بالاطلاق

لا تعمل شيئاً بل مت

الصحافة العربية

— الجزء الثاني — السنة السابعة —

{ الاسكندرية في ٢٩ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤ }

{ الموافق ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٢١ }

الصحافة العربية

تنتشر الصحافة العربية في هذه الايام انتشاراً يوشك ان يتجاوز حدود
التدريج فهي بعد ان كانت في الشام ومصر امتدت الى تونس والجزائر
ومراكش ثم تخطت الاوقيانوس الاثنتيني فوصلت الى اميركا وامتدت بها
من نيويورك وفيلادلفيا شمالاً الى ريو جانيرو وبونس ايرس جنوباً وهي
الان تنتشر ايضاً في الهند والبلاد العربية وبلاد فارس وسائر البلاد العثمانية
كما ان حالها الحاضرة تبشر بزيادة انتشارها في كل مكان ينطق فيه بالضاد
وفي ذلك ما يدل على ان جمال اللغة العربية نفسه هو الذي ينشر صحافتها
ويزيد الولوع بها لانه قد كان من حق هذه اللغة ان تتفهم حتى تفنى لان
الافرنج يعاكسونها ولان التكسب من هذه اللغة وصحافتها اقل بكثير من

مبلغ ارتقاءها والرغبة فيها ولذلك نجد الكثيرين ينشرون الصحف وهم في غنى عن ارباحها او على الاقل نيل الاجرة منها وذلك لفرط شغفهم بها وحبهم المنافسة فيها . وانه من اجل هذا يصح من مخالف القائلين بان اللغة العربية تموت بدليل ما نشاهده من هذه الحياة التي تبشر بالتمام

ثم انه ليست الصحافة هي التي ترتقي وحدها ويزداد انتشارها بل ان الآداب العربية بعمومها قد امتدت ونمت حتى صارت هوى في اكثر النفوس ولذلك كثر بيننا الكتاب والشعراء والنقاد فاصبح الكاتب المتوسط بيننا وهو احسن بياناً وانشاء من اعظم كاتب كان من عشرين وثلاثين سنة وكذلك الشعراء فان اعظم شاعر من ذاك العهد لم يكن يبلغ درجة الشاعر المتوسط الان بل ان لدينا من الشعراء الممتازين في هذه الايام من لا يقلون عن الشعراء الممتازين ايام بغداد وقرطبة وكل هذا قد جاء على الارجح من عند الصحافة لانها معرض الافكار وميدان المنافسة وواسطة التمداد

الا ان هذه الصحافة مع كثرة الولوع بها والاقبال عليها والاكثر من نشرها لا تزال مقصرة تقصيراً فاضحاً من حيث لغتها وطرق الكتابة والتعبير بها فهي مهما نمت اعدادها وحسنت مواضيعها وطاب الاختيار لها لا تسلم من تبعة التقصير لان سلامة الانشاء هي العمدة والجوهر وما بقي فاعراض وفضول

ولقد يعلم الناطقون بالضاد ان جناب زميلنا العلامة المحقق الشيخ ابراهيم اليازجي يعتبر من اشد العرب غيرة على اللغة واكثرهم تمسكاً باصولها ورد الخطأ عنها ولذلك عز عليه ما وجدته في جميع الصحف من الخطأ الذي جرى عليه اكثر الكتاب فنشر في مجلته الغراء « الضياء » فصولاً متتابعة نبه فيها

الى مواضع ذاك الخطأ وردته الى الصواب و اشار الى وجوه الاستعمال القصحي بحيث خدع الصحافة العربية خدمة جلي ولا سيما بعد ان جمعت تلك الفصول وطبعت كتاباً مستقلاً يسهل اقتناؤه والرجوع اليه بحيث ان الذي ينتبه الى ذاك التصحيح ثم يكتب تبدو كتابته نقية لا يعيبها شيء من ذاك الخطأ الفاضح القديم واذا بدا ثمت عيب فانما يكون من ضعف العبارة وسقم التركيب وفساد الاختيار وهو ما يוכל اصلاحه الى الذوق وطول المزاولة ولا سبيل الى التنبيه اليه كله لانه يقتضي العلم كله

على انه قد كان يهون على محبي العربية ان يبقى ذاك الخطأ القديم على عهده ولا يكون مصحوباً بما هو اشد منه افساداً للغة ودلالة على تقصير الكاتبين بها فانت قد تعذر الكاتب اذا استعمل لفظة في غير موضعها او فهم منها غير المقصود بها ولكن ما عذره لديك حين تراه في درجة ينشئ بها الفصول ويحرر الصحف وهو يكتب مطرداً « مضطرباً » ويريد النذر في رسمها « النذر » والثقات في خطها « الثقات » والزمم في كتب « الزمام » وبقوا « بقيوا » والوفيات « الوفيات » الى شيء كثير من مثل ذلك تبدو فيه الجمالة دون خطأ الطبع ويعتبر عيباً على صبي المدرسة فضلاً عن محرر الصحيفة وهادي الامة . ولهذا نعتبر ان ما قصده جناب زميلنا المشار اليه يعد كمالياً بالقياس الى هذا كما ان هذا الخطأ الفاضح مما يقتضي من جنبه غير اخرى فيدل كتابنا « المجدين » على كيفية الكتابة وتصوير الكلمات حتى تسلم الصحافة من هذه العيوب التي لا يرتكبها الا فرنج والدخلاء في العربية على اننا كنا نسلم بهذا الخطأ مهما شان وعاب لولا ان شيئاً اعظم منه يصاحبه وهو اعتقاد هؤلاء الكتاب بان خطأهم غير خطأ وان الذي يعيبهم

بعد متعنتاً لانهم لا يجدون فرقاً جوهرياً بين الذال والزاي والضاد والظاويين
كلمة فصيحة وغير فصيحة ما دام المعنى ظاهراً والتفهم حاصلًا وهذا ولا شك
من اغرب الاعتقادات واشدها دلالة على الجهالة وتعبد الاذى للغة توفيراً
لشيء من الراحة دون البحث والاستفادة والتقرب نحو الكمال

ثم ان هذا الخطأ لو كان حادثاً من لفظة او تركيب لكان وتكفل المدى
برده ولكنه جاد من نفس المبدأ وهو الاعتقاد بانه لا حاجة الى الفصاحة
والبلاغة وان الجمال الحقيقي هو معنى الكلام وموضوعه فتي حسن المعنى
ظهر قلبه حسناً من قبيل ان السر في السكان لا في المكان . ونعم ان المعنى
هو كل المقصود من القول والا لما كان قول ولكن معنى الكرسي مثلاً
والمستفاد منه هو الجلوس عليه فهل نعتبر جذعاً نجاس عليه بمقام كرسي من
خشب صقيل ما دامت راحة الجلوس قد حدثت من كليهما

ألا انه لو جري علي ذلك الاعتبار لتقوض جمال الدنيا وذهبت زخارفها
وزالت محاسنها وطويت مدنيته ورجع حضريها متوحشاً وانيسها نافرًا وليس
ذلك من جهة الانشاء فقط بل من جهة كل حالة فترى الناس لا يلبسون
الحرير لان معناه مستفاد من القطن او ورق الشجر ولا يتختمون بالاماس
لان معناه موجود في الثروة والدلالة على الغنى وهي موجودة في كثرة الماشية
مثلاً وقس على ذلك ما تشاء تجد ان هذه المدينة الجميلة التي وصلنا اليها انما
هي فصاحة المعيشة كما ان سلامة التركيب هي فصاحة اللغة ولهذا لا يصح افتراق
الفصاحتين لانهما متلازمان لا تقوم احدهما بدون صاحبتها

ثم ان جمال الكلام وحسن تنسيقه ووضع الحدود له لرد الخطأ عنه
هو الذي قضى بلبس الحرير والتختم بالياقوت ولو لم يكن في الظاهر كل

متختم فصيحاً وذلك لان الناس انما تمدنوا اولاً بكلامهم حتى تمدنوا بتصرفاتهم
ومعايشهم وهم كما انهم لا يهون عليهم ان يلبسوا القميص غير مكوي كذلك
لا ينبغي ان يهون عليهم سماع العبارة او كتابتها غير فصيحة ثم هم قد يريدون
التساهل ليلبسوا القميص غير مكوي ولكنهم يرون انهم ان يفعلوا ذلك
يتناولوا ربطة العنق فيزيلوها وازرار القميص فيستغنوا عنها وهكذا حتى
يصيروا واهل الهوتاتوت سواء في المعاش والمداير وانما يحدث ذلك
لان المدينة اجزاء كاجزاء العقد فاذا سقطت منه فريدة تلها سائر الترائد حتى
لا يبقى الا السلك . وانه من اجل هذا نجد رجال الدين لا يريدون التساهل
بشيء من شروطه التي تبدو في الظاهر غير مهمة وذلك لهذا الاعتبار نفسه
وخشيتهم من ان شرطاً يلغى يكون قائداً لسائر الشروط حتى يمتنع الدين اصلاً
ولقد كنا قرأنا في بعض الجرائد السورية اعترافاً بفضل زميلنا اليازجي
على اللغة العربية واجتهاده لمصونها وضبطها ولكنه كان اعترافاً ممزوجاً ببعض
اللوم لعدم تساهله بشيء من اللغة وشدة رغبته في استعمال الفصحى المنقى دون
الرضى بادنى خلل يصيب جوهر اللغة

الا اننا لا نرى رأي احد في لومه مهما بالغ في الحذر لانه يعتقد ان
اللغة موصولة الاجزاء فهو يخشى اذا ضعف منها جزء ان يعدي سائر الاجزاء
حتى تموت اللغة موتاً وعند ذلك تموت مدينة العرب الحقيقية اذا داموا
ناطقين بلغتهم على غير نظام والا دامت وكانوا فرنسيين او انكليز ولكن
من المحال ان تدوم لهم او لاي شعب الا اذا كانوا فصحاء في اللغة التي يختارونها
ولكن شعبنا لما كان قد خان عربياً فالأفضل له ان يختار الفصاحة ويتنافس
بها ابقاء على مدنيته ما دام لا بد له من هذه الفصاحة اذا اختار الا عجمية على

العربية وليعتقد انه من المحال ان تكون لغة بلا قيود ولا ضوابط ويكون
اهلها متمدين ثم ليعتقد كل قاصر النظر ان الذين ابدعوا علوم النحو
والصرف والعروض والبيان وسائر جوامع الكلام وقيوده قد كانوا اوفر
منه عقلاً واوسع ادراكاً وابعد نظراً وانهم ما خلقوا هذا عبثاً



مقصودة

لغير عينيك عناني ما عنا وليس ما برح بي داء الهوى
اني اراني للعوادي طلبة يرتدنها من كل فج ورجا
لو زرتي والليل يسري نجمه رأيت من اسراهما ما قد سرى
تدافع الهيم أطال ظأها مسيما وخليت تروي الصدى
فمن سقيط تله إعياءه وفارط جد به فرط القوى
انكرت شبي ناشأ لم يعدني وان عداني طيبه عصر الصبي
واني امشي مكباً مثلاً يمشي الكبير عاكفاً على العصا
رب فتى كالشيخ في مشيته ورب شيخ في صباه كالفتى
ايسر ما بي شيب فودي والذي انكرت من سقم كساني ما كسا
ولو رأيت عيناك قلبي ارتدنا والدمع يجري منها جري الحيا
امسى تفرى فهو مما نابه كأنما شك باطراف القنا
يوشك ان لا يمسك الهمة اذا صوب فيه ممعناً ثم ارتقى
خالته اسراب الهموم تتحي تحت الظلام جوعاً تبني القرى

عوّدها الجود وان لج به ضر وقد يؤذي الجواد ما حبا
اقصرت عن غي الصبي فاقصري ولا يهيج شجوك منه ما مضى
ولا تسجي دمع عينيك على ما مر من عيش لنا حلوا الجنى
امسى كالانا صدعت اهواءه خطوب دهر تتحينا بالاسى
لا تعذليني ان تجلت غمرتي وان صحاعنك فؤادي وارعوى
ليت الهوى اصبح شغلي وحده وليتي منيت فيه بالردى
وليت سهدي كان من جرائه إما لتيه كان منك او قلى
كأنني والصحب حولي هجع وقد تحامى مقلتي سرب الكرى
ذو صبية بات تلوى حوله لفرط ما جد بها من الطوى
تحنو عليها مستهلاً دمعها خرقاء لا توكي على غير البكا
نال الضنى منها واشقى عيشها جوع وعري شأنها بين الملا
لامته ان لم يحترث لنفعها ويضطرب في الارض يرتاد الغنى
وساءها ان ابصرت جاراتها يرفلن في الوشي عليهن الحلى
لم تستتم لومه حتى اتى طارق ليل شفه طول السرى
افضى اليه يقتضي ديونه وخاله ينجز ما كان وأى
فلج في اعنائه اذ ساءه إعساره وغازله طول المدى
كأنني ذاك وليتي كنته اذا اراح عازب الهم الدجى
وربما انشق الصباح فانبرت تحمل همي جأبة تنفي الحصى
تعدو أمام الحمر لا يلحقها وان جهدن خلفها سير القضا
اذا اللجام صل زالت ميعه وانطلقت لا تشكي مسّ الونى
اعدتها للهم امضيه بها اذا استطار في الضلوع والحشى